﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾﴾ [الطّور: 44 - 46]

❁ مناسبةُ الآيات لِما قَبْلَها:

إنكار عنادهم عن المُدرَكِ بالحسّ بعد إنكار إعراضهم عن دلائل العقل

بعد أن ذكر النّظمُ الجليل مزاعمَهم الفاسدة في النّبوّة، ثمّ أعقبه بالرّدّ عليهم في جحودهم للأُلوهيّة بإنكارها بتاتًا، وبادّعاء الشّريك لله، أو باتّخاذه الولد - أتبع ذلك في هذه الآية بيانُ شدّةِ ضلالهم وقوّةِ عنادهم؛ إذ قد بلغوا حدًّا في العناد بليغًا، فقد أصبحوا يكابرون في إدراك المحسوسات فضلًا عن المعقولات[1].

ومنها: لمّا بيّن فسادَ أقوالِهم وسقوطَها عن درجة الاعتبار؛ أشار في هذه الآية إلى أنّه لم يبقَ لهم شيء من وجه الاعتذار؛ لأنّ الآيات ظهرت والحُجَجَ تميّزت ولم يؤمنوا، فاستحقّوا بذلك الانتقام في يومهم الذي يوعدون، ولا يجدون مَن يدفع عنهم العذاب[2].

❁ شرحُ المفردات:

1) ﴿كِسْفًا﴾: (كسف) أصلٌ يدلّ على تغيّر في حال الشّيء إلى ما لا يُحَبُّ، وعلى قطع شيء من شيء[3]، والكِسْفَةُ: قطعةُ سحاب، أو قطعةُ قطن أو صوف، فإذا كان واسعًا كبيرًا فهو كِسْفٌ، ولو سقط من السّماء جانب فهو كِسْف[4]. والكِسْفَة: القطعة من الشّيء. يقال:

(1) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 37.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 528.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (كسف).
(4) الخليل، العين: (كسف).

أعطني كِسْفَةً من ثوبك، والجمع كِسَفٌ وكِسَفٌ[1]. والمُراد به في الآية الكريمة: جانبٌ من السَّماء، أو قِطْعَة منها[2].

2) ﴿سَاقِطًا﴾: (سقط) أصلٌ واحد يدلُّ على الوقوع[3]، والسُّقوطُ: طرح الشّيء، إمّا من مكان عالٍ إلى مكان منخفض، قال تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾[4]. والسّقْطَةُ: الوَقْعةُ الشّديدةُ. وسقَطَ يَسْقُطُ سُقوطًا، فَهوَ ساقِطٌ وسَقوطٌ: وقَعَ[5]. وسِقْطُ السّحاب: طَرفٌ منه، كأنّه ساقِطٌ في الأرض من ناحية الأفق[6].

3) ﴿مَّرْكُومٌ﴾: (رَكَمَ) أصلٌ يَدُلُّ على تَجَمُّعِ الشَّيْءِ، وركمتُ الشّيء: ألقيت بعضَه على بعض[7]. والرُّكامُ: ما يُلْقَى بعضُه على بعض، قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ [النّور: 43]، الرَّكْمُ: جَمعُكَ شَيْئًا فَوْقَ شَيْءٍ حَتَّى تَجْعلَه رُكامًا كالرَّملِ والسَّحابِ ونَحْوِ ذَلِكَ مِنَ الشَّيْءِ المُرْتكِم بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ. وهو إلقاءُ بَعْضِ الشَّيْءِ عَلَى بَعْضٍ[8]، قال تعالى: ﴿فَيَرْكُمَهُۥ جَمِيعًا﴾ [الأنفال: 37] أي: يجعل بعضَهم على بعض[9]. والمراد به في الآية الكريمة: تراكم السّحاب بعضِه على بعض[10].

4) ﴿يُصْعَقُونَ﴾: (صعق) أصلٌ يدلّ على شدّة صوتٍ؛ من ذلك: الصّعق، وهو الصّوت الشّديد[11]. والصُّعاقُ: الصَّوت الشَّديد، والصَّعّاقُ: الشَّديدُ الصَّوْتِ. والصّاعِقَةُ: صيحةُ العَذابِ، والوَقْعُ الشَّديدُ من صوْتِ الرَّعْدِ، يسقُطُ معه قِطْعة من نار. ويجمع صَواعِق، والصَّعِقُ: المَغْشيُّ عليه. وصَعِق صعقًا: غُشي عليه من صَوْتٍ يسمعه، أو حِسٍّ أو نحوه. وصعِق صعَقًا: مات[12]. والصّاعِقَةُ على ثلاثة أوجه: الموت، والعذاب، والنّار، وهي أشياءُ ناتجة عن

(1) الجوهريّ، الصّحاح: (كسف).
(2) السّمعانيّ، تفسير السّمعانيّ: 5/ 280.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (سقط).
(4) الرّاغب، المفردات: (سقط).
(5) ابن منظور، لسان العرب: (سقط).
(6) الخليل، العين: (سقط).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ركم).
(8) الخليل، العين، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (ركم).
(9) ابن الجوزيّ، تذكرة الأريب، ص: 129.
(10) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 156.
(11) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (صعق).
(12) الخليل، العين: (صعق).

الصّاعِقَةِ، وهي الصّوت الشّديد من الجوّ، ثمّ يكون منها نار فقط، أو عذاب، أو موت، وهي في ذاتها شيء واحد، ولهذه الأشياء تأثيرات عديدة[1]. والمُراد به في الآية الكريمة: يموتون ويَهْلِكون[2].

❁ المَعْنَى الإجْماليُّ:

تصوير عناد المشركين وجُحودهم مع رؤية العذاب النّازل عليهم

يصوّر النّظمُ الجليل مدى عنادِ المشركين وجحودهم، حتّى لو رأوا عذابًا حسّيًّا نازلًا من السّماء كقِطَعٍ متساقطة لَما آمنوا، بل لقالوا: هذا سحابٌ متراكم! وهو إنكار للمحسوسات، بعد أن أنكروا المعقولات. ثمّ يأمر الله النّبيَّ ﷺ أن يَدَعَهُم وشأنَهم، فهم ماضون إلى مصيرهم المحتوم: يوم الصّعقة، حيثُ لا ينفعُهم كيدُهم الذي كانوا يحيكونه في الدّنيا، ولا يجدون مَن ينصرهم أو يدفع عنهم العذاب، فهم مهزومون عاجزون يوم لا تنفع فيه الحيل ولا القوّة[3].

❁ الإيضاحُ اللُّغويُّ والبَلاغيُّ:

دلالة الواو في قوله: ﴿وَإِن﴾:

رؤية العذاب النّازل لا تقطع عنادَ المُكذّبين

عطف النّظمُ الجليل قولَه جلّ شأنه: ﴿وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ على قوله جلّ شأنه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطّور: 30] وما بعدها؛ وذلك لاشتراك معاني الجُمَل مع ما في هذه الجملة في تصوير مكابرتهم، فلو رَأوا بأعينهم كِسَفًا ساقطًا من السّماء وقيل لهم: هذا كِسَفٌ نازل عذابًا بكم، فإنّهم يُكابرون ويقولون: هو سحاب مركوم[4]. ويجوز أن تكون استئنافيّةً لبيان تعنُّتهم ومكابرتهم، عندما يروا بعضَ ما سألوا من الآيات، كما في سورة الإسراء: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: 92] يقولون: هذا سحابٌ مركوم.

(1) الرّاغب، المفردات: (صعق).
(2) الخازن، لباب التّأويل: 4/ 202.
(3) المراغيّ، تفسير المراغيّ: 27/ 37، والهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 89، 90.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 79.

دلالة التّعبير بالجملة الشّرطيّة:

إبـراز حـالِ المشركين في بلوغهم أقصى درجات المُكابرة والعِناد

عبّر النّظمُ الجليل بالجملة الشّرطيّة في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾، فجعل قولَهم ذلك ورؤيةَ الكَسْفِ مُتلازمَين[1]، فالتّعبيرُ بالجملة الشّرطية يُبْرِز حالَهم الذي بلغ أقصى درجاتِ المُكابرة والعناد؛ فهي تُصوِّر حالًا يفترض وقوعَ العذابِ صراحةً، ومع ذلك يُقابلونه بالإنكار والتّأويل الفاسد، وهذا يُظْهِر مدى تعنُّتِهم ومنافاتهم للعقل والحِكمة.

نُكْتَةُ الاشتراط بـ (إن) دون (إذا):

التّهديد بالعذاب لا بإيقاعه

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ بأداة الشّرط (إن) دونَ (إذا) في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾؛ لدلالتها على الاحتمال لا على اليقين، فهو لا يقتضي أنّه يقع[2]. بل هو لمُجرّد بيانِ شدّة عنادِهم، فهم لا يعارضون الدّعوةَ لمنافاتها الحقّ، بل لأنّهم معاندون. وممّا يُذْكَر في سرّ التّعبير بـ(إن) دون (إذا): أنّ الكلام هنا على سبيل الفَرَض والتّقدير؛ لأنّه من المعلوم أنّ قُرَيشًا لم ينزل عليهم قِطَعٌ من السّماء تعذيبًا لهم، بدليل قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: 33]، والتّقدير كأنّه يقول: لو عذّبناهم بسقوط قِطَعٍ من السّماء عليهم، لم ينتهوا ولم يرجعوا؛ عنادًا منهم[3].

دلالة التّعبير بالرّؤية مادّةً وصيغةً:

عنادٌ لا يلين، وإصرارٌ على الكفر حالَ رؤيةِ العذاب صراحةً

عبّر النّظمُ الجليل بفعل الرّؤية في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ دونَ العِلْم؛ للدّلالة على أنّهم يرونَه بأعينهم معاينةً[4]، ومقامُ الرّؤيةِ أثبتُ في إقامة

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 80.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 80.
(3) الجمل، حاشية على الجلالين: 4/ 221.
(4) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 34.

الحُجّة؛ لأنّه كما يقال: ليس مع العين أين، ومع رؤيتهم بأعينهم لم يؤمنوا، فمن باب أولى لا يؤمنون مع العِلْم. وجاء التّعبيرُ بالفعل المضارع للدّلالة على تَكرار رؤيتِهم له، وهذا يُظْهِر مدى تعنُّتِهم، وشِدّةَ مكابرتِهم، بالإصرار على كفرهم.

دلالة التّعبير بقوله: ﴿كِسَفًا﴾:

بيان فَرْطِ عنادِهم، مع رؤيتِهم لمظاهر العذاب النّازل عليهم

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بقوله: ﴿كِسَفًا﴾ دون (قِطَعًا)؛ لأنّ الكِسْفَةَ قطعةٌ من السّحابِ والقُطْنِ، ونحوِ ذلك من الأجسام المُتخلخِلة الحائلة، وجمعها: كِسَف، والمُراد بها هنا: قطعةُ السّحاب الواقعةِ من السّماء، فتغطّيهم وهي نازلةٌ للعذاب، ولذلك كان التّعبير بها لبيان فَرْطِ عنادِهم، حتّى مع رؤيتِهم لمظاهر العذاب النّازل عليهم[1]. ويجوز أن يكون التّعبير بها من باب التّلويح إلى ما حكاه الله عنهم في سورة الإسراء، قال تعالى: ﴿أَوْ تُسْقِطَ ٱلسَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا﴾ [الإسراء: 92]، ولأنّ الكَسْفَ يستعمل مع السّماء؛ بخلاف الخَسْف فهو مع الأرض؛ فلمّا كان العذابُ نازلًا من السّماء عبّر عنه بالكَسْفِ[2].

نُكْتَةُ تنكير ﴿كِسَفًا﴾:

التّهويل والتّعظيم

عبّر النّظمُ الجليل بتنكير الكِسْف في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا﴾؛ للدّلالة على التّهويل والتّفخيم، أي: ولو رَأوا كِسْفًا عظيمًا من السّماء - وهو شيءٌ مَهولٌ مُفْزِعٌ - لَما صدّقوا، بل أنكروا، فقالوا: ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾.

دلالة التّعبير بالإفراد في قوله: ﴿كِسَفًا﴾:

اسمُ الجنس يحتمل القليلَ والكثير

جاء التّعبيرُ بالإفراد في قوله: ﴿كِسَفًا﴾ مع أنه جاء بالجمع في مواطنَ أخرى، منها قولُه: ﴿فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾

(1) الرّاغب، المفردات: (كسف).

(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 528.

[الشعراء: 187] بفتح السّين ﴿كِسَفًا﴾ [الشعراء: 187]؛ لأنّه اسمٌ جنسٍ يحتمل القليلَ والكثير[1].

دلالة التّعبير بـ ﴿مِّنَ﴾:

بعض من السّماء يكفي لترويعهم وإهلاكِهم

عبّر النّظمُ الجليل بحرف الجَرّ ﴿مِّنَ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾؛ للدّلالة على التّبعيض، أي: أنّ هذا الكسفَ هو جُزءٌ من السماء[2]، لا كلّها، وهذا يُهوّل الموقف إذ يكفي سقوط قطعة واحدة منها لإحداث الهلاك، فكيف لو سقطت كلّها؟!

دلالة التّعبير بشبه الجملة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾:

تهويل موضع السّقوط وعِظَمه

عبّر النّظمُ الجليل بشِبه الجملة ﴿مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ في قوله جلّ شأنه: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾؛ لتكون صفةً مخصِّصَة للكِسَف، وذلك للدّلالة على أنّ بعض ما يسقط من السّماء يكفي في الإهلاك[3]، فهو تهويل المشهد؛ فالمقصودُ أن ما يسقط ليس شيئًا مجهولًا، بل هو جزءٌ من السّماء ذاتِها. وتحديدُ مكانِ سقوط الكِسَف يُضفي رهبةً واسعة على المشهد؛ فلو سقط عليهم شيءٌ ممّا هو متعلّق بالأرض لما كان مثيرًا، أمّا أن يسقط عليهم بعضٌ من بناء السّماء، فهو تهديدٌ عظيم، قد يُحْدِثُ فيهم التَّفكُّرَ والاتّعاظَ. وفيه إشارةٌ إلى أنّهم لا يستطيعون دَفْعَه؛ لأنّ العربَ تُعَبّر بالسّماء على الشّيء الذي لا يمكنُهم دَفْعُه.

سرُّ التّعبيرِ بالسّقوط دونَ الوقوع:

الإشارة إلى انفصال جُزء من السّماء

آثَر القرآنُ التّعبيرَ بقوله: ﴿سَاقِطًا﴾ دون (واقعًا)؛ لأنّ السّقوط يحمل معنى السّوء، ويُستَخدم في الغالب في الذّمّ والتّوبيخ،

(1) القونويّ، حاشية على تفسير البيضاوي: 18/ 261.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 79.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 79.

كالسّقوط من أعين النّاس؛ بخلاف الوقوع فإنّه يقال للإبل والدّوابّ إذا رَبَضَت وبَرَكت، ولذلك آثَر التّعبير بالسّقوط هنا لما يحملُه من معنى التّهديد؛ لأنّ الوصف بالسّقوط يُشير إلى سقوط قطعةٍ من عذاب السّماء من النّيازك المُتفجِّرة، أو بقايا أو شظايا النّجوم والكواكبِ المُتَفجّرة، التي تَدور حولَ الأرض بأحجامٍ مختلفة، أو ما يسقط من الصّواعق والبَرق[1]. وجاء التّعبيرُ بالاسميّة دونَ الفعليّة (يسقط)؛ للإشارة إلى انفصال جُزء من السّماء؛ بخلاف الفعليّة التي تَدلُّ على تجدُّد السّقوط، وهذا غير مُراد في هذا السّياق.

بلاغة الموقع النّحويّ لقوله: ﴿سَاقِطًا﴾:

رؤيــة الـكِسَف في حالة سقوط تـصـويـرٌ مهيبٌ للهلاك الوشيك

جاءت كلمة ﴿سَاقِطًا﴾ في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾ في محلّ نَصبٍ حالٍ من الكِسَف، أي: يرون كِسَفًا حالَ كونِه ساقطًا من السّماء[2]. وهذه الحال تُبيِّن هيئةَ ذلك الجُزءِ حين رؤيتِهم إيّاه، فهو ليس ساكنًا ثابتًا، بل في حالة سقوط، وهذا يعطي قوّةً ورهبةً في المشهد.

دلالة التّعبير بالقول فعلًا مضارعًا:

المُكابرة متجدِّدة فيـهـم، وصـفـةٌ راسخةٌ لا تَزول

عبّر النّظمُ الجليل عن القول بالفعل المضارع في قوله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْاْ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾؛ للدّلالة على استمرار مُكابرتهم وتجدُّدِها كلّما رَأوا آيةً، فهو يُصوّر ردّةَ فعلٍ حاضرةٍ دائمة، كأنّها سجيّةٌ فيهم، فهم يُسارعون إلى ردّ المعجزة بالتّأويل الفاسد والإنكار، وهذا يُشير إلى ثباتهم وإصرارهم على الجُحود وتكرارِ الموقف ذاتِه كلَّ مَرّة، وفيه إشارةٌ إلى أنّهم يقولون ذلك من غير عقيدة.

(1) محمّد الهلال، التّفسير الثّريّ: 11/ 177.
(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 18/ 147.

سرّ التّعبير بالسّحاب:

إعطاءُ أنفسِهم مساحةً من الطّمأنينة، وإبعادُ أمرِ العذاب والعقاب

آثَر القرآنُ الكريم التّعبير بالسّحاب في قوله: ﴿سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾؛ لأنّ مادة (سحب) تدلّ على جَرّ شيء مبسوط ومَدِّه، كَسَحْبِ الذّيل، وسُمّي السّحابُ سحابًا تشبيهًا له بذلك، كأنّه ينسحب في الهواء انسحابًا، ويُطلَق السّحاب على الغَيم، سواء كان فيه ماء أو لم يكن، ولذلك قيل: سحاب جَهام، والجَهامُ: السّحابُ الذي فَرَّغَ ماءَه، ولمّا كان السّحاب يحمل هذه المعاني المألوفة لديهم، ويُشاهدون ذلك أمامَ أعينِهم، قالوا عن الكِسَف السّاقط من السّماء: ﴿سَحَابٌ﴾؛ ليُعْطوا لأنفسهم مساحةً من الطّمأنينة، وليُبْعِدوا أمرَ العذاب والعقاب[1].

نُكْتَةُ تنكير السّحاب، وموقعُه الإعرابيّ:

التّهوين والتّقليل من شأن هذا السّحاب

عبّر النّظمُ الجليل عن السّحاب بالتّنكير في قوله تعالى: ﴿يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾؛ للدلالة على تحقيرهم وتقليلهم لشأن الكِسَف السّاقط من السّماء، فيُنكرون كونَه آية[2]، ويُهوِّنون من فظاعة المشهد، فيجعلونه شيئًا مألوفًا لا دلالةَ فيه، رغمَ هولِه ووضوحِه. فالتّنكيرُ يُظْهِر جهلَهم، فكأنّهم يقولون: هذا مُجرّد شيءٍ من جنس السّحاب، لا عذابَ فيه. أمّا الموقعُ الإعرابيّ للسّحاب فهو خبرٌ لمبتدأ محذوف، تقديره: هذا سحابٌ[3]. وإنّما لم يقولوا: (هذا سحاب)، إشارةً إلى وضوح الأمر، وظهورِ العِناد[4].

فائدة وصف السّحاب بأنّه ﴿مَّرْكُومٌ﴾:

الإشارة إلى أنّه سحاب متراكم بعضُه فوقَ بعض

وصف النّظمُ الجليل السّحابَ بـ ﴿مَّرْكُومٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَقُولُواْ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ﴾؛ للدّلالة على أنّه سحابٌ أُلقيَ بعضُه على

(1) الرّاغب، المفردات، والسمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (سحب).
(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 18/ 147.
(3) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 340.
(4) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 18/ 147.

بعض للمطر، فلم يُصَدّقوا أنّه كِسَف ساقطٌ للعذاب[1]. ويفيد أنّهم يَرونَهُ سحابًا مألوفًا ذا هيئةٍ معتادة في الطّبيعة، متراكمًا بعضُه فوقَ بعض، كما هي حالُ السّحبِ المُمطِرة، لا آيةَ عذابٍ أو نذيرًا من السّماء. فهم يُحيلون المُعجزةَ إلى ظاهرة طبيعيّة، ويجعلون الخطرَ الوشيكَ مُجرّد غيمٍ معتاد.

دلالة التّعبير بـ ﴿مَّرۡكُومٞ﴾ مادّةً وصيغةً:

وَصْفُ السّحابِ بالتّراكم المعتادِ نفيًا لمعجزة العذاب

عبّر النّظمُ الجليل بـ ﴿مَّرۡكُومٞ﴾ في قوله تعالى: ﴿يَقُولُواْ سَحَابٞ مَّرۡكُومٞ﴾؛ للدّلالة على هيئة السّحاب المُتراكب، الذي يُلْقَى بعضُه فوقَ بعضٍ[2]، وهو ما نُسَمّيه السّحُبَ الرّكاميّة؛ فهم لا يُبالون به، ولا يعتبرون بها، ويعدّونَها من الظّواهر الطّبيعيّة التي تحدُثُ بين الحين والآخر، وهذا دليلٌ على شدّة عنادِهم، وعدمِ النّظر إلى الآيات الكونيّة بالمنطق الصّحيح[3]. وعبّر بذلك للدّلالة على أنّه هو السّحاب المُمطِر[4]. وفيه إشارةٌ إلى أنّهم حين يَعْجِزون عن التّكذيب يرجعون إلى التّأويل والتّخييل[5]. وجاء بصيغة اسم مفعول للدّلالة على أنّ هذا التّراكمَ واقعٌ بفعل فاعل، أي: أنّه سحاب قد جُمِع وتراكم بالهواء، وهو ما يراه النّاسُ عادةً مُؤذِنًا بالمطر. وفي التّعبير باسم المفعول توبيخٌ للكافرين بعبادتهم للأصنام؛ لأنّها لا تملك فعلَ ذلك؛ فهذا التّراكُم واقعٌ بفعله ﷻ.

دلالة الفاء في ﴿فَذَرۡهُمۡ﴾:

استحكم عنادُهم حتّى لا يُرجَى معه هدًى، فوجبَ تَرْكُهم

عبّر النّظمُ الجليل بـ (الفاء) في قوله تعالى: ﴿فَذَرۡهُمۡ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوۡمَهُمُ ٱلَّذِي فِيهِ يُصۡعَقُونَ﴾، وهي هنا فاءُ التّفريع، وجيءَ بها لتَربطَ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 89.
(2) الرّاغب، المفردات: (ركم).
(3) محمّد الهلال، التّفسير النّبويّ: 11/ 177.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 79.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 529.

الأمرَ بتركِ عرضِ الآيات عليهم، بما قبلَه من بيان عنادِهم الأصيل، ومُكابرتِهم المُستحكِمة، حتّى بلغوا حَدًّا لا تنفع فيهم الآيات، ولا تُؤثِّر فيهم الحُجَج[1]. فالفاء تُفيد أن الأمر بتَركِهم نتيجةٌ حتميّةٌ لِما تقدّم من كشف طبعِهم المُكابِر، فهم لا يطلبون الآياتِ لهُدًى أو بُرهان، بل للتّمادي في الجُحود والسُّخرية، ولذلك فَطَلَبُ الآياتِ لهم لا يُجدي، فالأنسبُ تَرْكُهم إلى أن يَلْقَوا عاقبتَهم. فالفاء تُفصِح عن شرط مُقَدّر، تقديرُه: إذا بلغوا في الكفر والعِناد إلى هذا الحَدّ، وتبيّن أنّهم لا يرجعون عن الكفر، فَدَعْهُم حتّى يموتوا عليه[2].

دلالة الأمر في ﴿فَذَرْهُمْ﴾:

عبّر النّظمُ الجليل بفعل الأمر في قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾؛ للدّلالة على تركهم والإعراض عنهم[3]، وهو ليس أمرًا بترك الدّعوة مطلقًا، بل هو أمر خاصّ بترك الاستجابة لاقتراحاتهم في الآيات والمعجزات، إذ إنّهم لا يطلبونها ابتغاءَ الحقّ، بل عِنادًا ومكابرة[4]. ويجوز أن يكون المراد بالخطاب من لم يظهر عنادُه لا من ظهر عنادُه؛ فلم يقل الله في حقّه: ﴿فَذَرْهُمْ﴾، ويدلّ على هذا أنّه تعالى قال من قبلُ: ﴿فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الطور: 29]، وقال هنا: ﴿فَذَرْهُمْ﴾، فمَن يُذَكِّرُهم هم المُشْفِقون الذين قالوا: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾﴾ [الطور: 26]، ومَن يَذرُهم الذين قالوا: ﴿شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾﴾ [الطور: 30][5].

تـركُ مجاراتِهم فـي طلبهمُ الآيـاتِ، لا تركُ التّبليغِ

سرّ التّعبير بقوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾، دون (اتركهم):

آثَر القرآنُ الكريم التّعبيرَ بقوله: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ دون (اتركهم)

أرشد الله نبيّه بأن لا يبالي بالكفّار وأن لا يعتدّ بهم تحقيرًا لهم

(1) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 80.
(2) الجمل، حاشية على الجلالين: 4/ 221.
(3) الشّوكانيّ، فتح القدير: 5/ 123.
(4) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 80.
(5) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 530.

لوجود فَرْق بينهما؛ فقولُه: ﴿فَذَرْهُمْ﴾ أخصّ من قوله: (اتركهم)؛ لأنّه تَرْكٌ مع إعراض وقِلّةِ اعتداد، فهو ترك للإهمال؛ بخلاف التّرْك فهو أصلٌ يدلّ على التّخلية عن الشّيء، فهو تركٌ ومفارقة، وعلى ذلك يكون (اتركهم) أعمّ من (ذرهم)؛ لذلك جاء التّعبير بالفعل (ذرهم) للدّلالة على أنّ الله تعالى أرشد النّبيّ ﷺ أن لا يبالي بهم؛ لأنّهم لا يُعتَدُّ بهم تحقيرًا لهم.

دلالة التّعبير بـ ﴿حَتَّىٰ﴾:

التّرك والإمهال للمشركين له غايةٌ محدّدة

عبّر النّظمُ الجليل بـ ﴿حَتَّىٰ﴾ في قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾، وهي هنا حرفُ غاية وجَرّ[1]، وجيءَ بها لتُفيد أنّ التّرك والإمهال للمشركين مُمتدّ إلى غاية محدّدة، وهي يومُ الصّعق والهلاك[2].

بلاغة الاستعارة في ملاقاتهم لليوم:

مواجهة العقاب أمرٌ حتميٌّ

عبّر النّظمُ الجليل عن وقوع اليوم بـ (ملاقاتهم لليوم) في قوله جلّ شأنه: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾، وهي استعارة مَكنيّة، حيثُ شُبّه اليوم – وهو الزّمان الذي لا يملك إرادةً – بشخصٍ كائنٍ حيّ يمكن لقاؤه، وذلك على سبيل الاستعارة المَكنيّة، حيثُ حُذِف المُشَبّه به (الشّخص)، وذُكِرَ شيءٌ من لوازمه – وهو (الملاقاة) – وإثباتُ فعلِ المُلاقاة إلى اليوم يُعَدّ تخييلًا لهذه الاستعارة[3]. وتأتي بلاغةُ هذه الاستعارة لتُجسِّد اليومَ، وتُحيلُه من مُجرّد زمنٍ إلى خصم حاضر، وتكون مواجهتُه حَتميّة لا مَفَرّ منها، فالمُلاقاة هنا لا تعني اللّقاء العاديّ، بل هي لقاء حسابٍ لنَيل عواقبِ أعمالهم.

(1) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 306.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 80.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 81.

أثَرُ تَعَدُّدِ القراءات في قوله: ﴿يُلَقُواْ﴾:

قرأ جمهور القُرّاء ﴿يُلَقُواْ﴾ بضَمّ الياء وفتح اللّام، وألِفٌ بعدَها مع ضَمّ القاف، وقرأ أبو جعفر بفتح الياء وإسكان اللّام وفتح القاف ﴿يَلْقَواْ﴾[1]. فَوَجْهُ قراءةِ الجمهور أنّها من المُلاقاة، وسبق بيانُ معناها في الاستعارة، وأمّا قراءةُ أبي جعفر؛ فهي مضارع (لقي)، والمُراد: يَلْقَوا جزاءَ أعمالِهم في يومهم[2].

نُكْتَةُ إضافةِ اليوم إلى ضميرهم:

تخصيص عذابِ يومِ القيامة بالمُكَذِّبينَ

عبّر النّظمُ الجليلُ بإضافة اليوم إلى ضمير المخاطَبين في قوله تعالى: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾، وهذه الإضافةُ وقعت لأدنى ملابسة، فأُضيف إليهم لأنّهم اشتهروا بإنكاره، وعُرِفوا بالذين لا يؤمنون بالآخرة[3]، وهذه الإضافة تَرْبِط اليومَ بهم خصيصًا، فكأنّ العذاب في هذا اليوم قد خُصّص لهم من فَرْط إنكارِهم وتكذيبِهم بهذا اليوم الذي أُوْعِدوه.

دلالة التّعبير بالاسم الموصول وصلتِه:

إيضاحُ المصيرِ وحتميّةُ الجزاءِ

عبّر النّظمُ الجليل بالاسم الموصول في قوله جلّ شأنه: ﴿يُلَٰقُواْ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ لوصف اليوم[4]، وفائدتُه هنا مع صلته التّنبيهُ على خَطئِهم في إنكار هذا اليوم[5]، وليُبرزَ حتميّةَ وقوعِه وهولَه الذي سيَحِلُّ بهم. فالصِّلة تُشير إلى المصير الذي ينتظر المُكذِّبين، فهذا اليوم الذي ينكرونه هو نفسُه اليوم الذي سيصيبُهم فيه الهلاك.

نُكْتَةُ تقديمِ الظّرف ﴿فِيهِ﴾:

لا صَعْقَ إلّا في ذلك اليوم تأكيدًا لحتميَّةِ المصيرِ

قدّم النّظمُ الجليل شِبهَ الجملة ﴿فِيهِ﴾ على الفعل في قوله جلّ

(1) القاضي، البدور الزّاهرة: 2/ 865.
(2) السمين الحلبي، الدّرّ المصون: 10/ 79.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 80.
(4) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 340.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 81.

شأنه: ﴿ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾، فلم يقل: (يصعقون فيه)؛ وذلك للتّخصيص والحَصْر[1]، وليُؤكِّدَ أنّ الصّعقَ سيقع في هذا اليوم بالذّات لا في غيره، وهو تأكيدٌ على حتميّة وقوعِ العذاب وتثبيت موعِده. كما أنّ التّقديم يُبْرِز أنّ ذلك اليوم هو الذي سيكون فيه الجزاءُ الموعود.

دلالة التّعبير بـ﴿يُصْعَقُونَ﴾ مادّةً وصيغةً:

الموت ذروةُ الهلاكِ ومنتهى العذابِ

عبّر النّظم الجليل بالصّعق في قوله جلّ شأنه: ﴿فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ﴾ دون الموت، مع اشتراكِهما في المعنى العامّ وهو الهلاك، إلّا أنّ القرآن آثَر التّعبير بالصّعق؛ لأنّ المادّة اللّغويّة له تدلُّ على العذاب؛ فالصّاعقة: "صوتُ الرّعْدِ الشّديد الذي يُصْعَق منه الإنسانُ، أي: يُغْشَى عليه"[2]. وهو من الجَوّ؛ ثمّ يكون منه نارٌ وعذابٌ يعقبه الموت؛ لذا جيء به هنا للدّلالة على الموت والهلاك[3]، وجاء التّعبير بصيغة المضارع المبنيّ للمفعول للاهتمام بالصّعق لذاته، لا بكونِه من فاعل معيّن.

أثرُ تعدّدِ القراءاتِ في قوله: ﴿يُصْعَقُونَ﴾:

تعدّدتِ القراءاتُ في قوله: ﴿يُصْعَقُونَ﴾؛ حيثُ قرأ ابنُ عامر وعاصم بضَمّ الياء، وباقي القُرّاء بفتح الياء، ووجهُ قراءةِ ابنِ عامر وعاصم: أنّها من (أصعق) بالألف؛ فقد يقال: (صَعِقَ فلانٌ) بكسر العين، وأصعَقَه اللّه؛ فـ ﴿يُصْعَقُونَ﴾ على هذا مثل: (يُكْرَمون). ويجوز أن يكون من (صُعِقَ) بضَمّ الصّاد وكسرِ العين؛ فهو مصعوق، وصعَقَهُ اللّه، فـ ﴿يُصْعَقُونَ﴾ على هذا كـ (يُضْرَبون). ووَجْهُ مَن قرأ بفتح الياء أنّه من (صَعِق) بكسر العين (يَصْعَق)

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 35.
(2) السمين الحلبي، عمدة الحفّاظ: (صعق).
(3) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 90.

بفتحها، قال تعالى: ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الزّمر: 68]؛ فـ ﴿يَصۡعَقُونَ﴾ على هذا كـ (يحذرون)[1].

نُكْتَة فصلِ قوله: ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا﴾:

تفخيمُ اليومِ وتهويلُ الموقفِ فيه

فصلَ النّظمُ الجليل قولَه جلّ شأنه: ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ﴾ عمّا سبق؛ لأنّها بدلٌ من قوله تعالى: ﴿يَوۡمَهُمُ﴾[2]، فبين الجُملَتين كمالُ اتّصالٍ، وفائدةُ الفصلِ تفخيمُ شأنِ اليوم، فهو ليس مُجرّدَ وقتٍ للعقوبة، بل هو يومٌ عصيب يتخلّى المَرءُ فيه عن أقرانه وأهلِه وأحبَّتِه.

دلالة التّنكير في قوله: ﴿يَوۡمَ﴾:

التّهويل والتّعظيم لهذا اليوم

جاء لفظُ ﴿يَوۡمَ﴾ مُنكّرًا في قوله تعالى: ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي﴾ للتّهويل والتّعظيمِ لهذا اليوم الذي يعود إلى قوله: ﴿يَوۡمَهُمُ﴾. ويجوز أن يكون التّعظيم ليوم بَدرٍ، فإنّهم كانوا قاطعين بنصرهم عن المسلمين، وما أغنى أحدٌ عن أحدٍ شيئًا[3].

سرّ التّعبير بقوله: ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ﴾، ولم يقل: (يوم لا يغنيهم كيدهم):

أوثِر التّعبيرُ بقوله: ﴿يَوۡمَ لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ كَيۡدُهُمۡ﴾ ولم يقل: (يوم لا يغنيهم كيدهم)، مع أنّ الإغناء يتعدّى بنفسه، وذلك لفائدة جليلة، وهي أنّ قول القائل أغناني كذا، يُفْهَم منه أنّه نفعني، وقولَه: أغنى عنّي، يُفْهَم منه أنّه دفع عنّي الضّررَ؛ فقولُه: أغناني معناه في الحقيقة: (أفادني غير مستفيد)، وقوله: أغنى عنّي، أي: لم يُحْوِجني إلى الحضور، وعلى ذلك: فالتّعبير بقوله: ﴿لَا يُغۡنِي عَنۡهُمۡ﴾

(1) ابن أبي مريم، المُوضح في وجوه القراءات: 3/ 1215.
(2) ابن عادل، اللّباب في علوم الكتاب: 18/ 148.
(3) الجمل، حاشية على الجلالين: 4/ 221.

معناه: لا يدفع عنهم الضَّررَ، ولا شكّ أنّ قوله: لا يدفع عنهم الضّرَرَ، أبلغُ من قوله: (لا ينفعهم نفعًا)[1].

دلالة التّعبير بالمضارع المنفي:

نفيُ النّصرة عنهم دائمٌ لا يزول

آثَر النّظمُ الكريم التّعبيرَ عن نفي الإغناء بالفعل المضارع في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؛ وذلك للدّلالة على تجدّد النّفي، فهو لا يُغني عنهم شيئًا على سبيل الدّوام والاستمرار.

نُكْتَةُ تقديمِ شِبه الجُملة: ﴿عَنْهُمْ﴾:

إفادةُ الاختصاص والتّأكيد بأن كيدَهم لا يُغني عنهم شيئًا

قدّم النّظمُ الجليل شِبهَ الجملة ﴿عَنْهُمْ﴾ على المسنَد إليه في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾، فلم يقل: (لا يُغْني كيدُهم شيئًا عنهم)؛ وذلك لإفادة الاختصاص والتّأكيد، أي: لا يُغْني كيدُهم شيئًا عنهم هم بالذّات، ولا عن غيرهم. وهذا التّخصيص يُفيد أنّ كيدَهم الذي كانوا يظنّون به النّجاةَ، لن يُدفعَ به عنهم العذابُ بأيّ وجْهٍ، وهذا يُشير إلى خيبتهم وانتقاضِ كيدهم. وفيه إفادةٌ إلى أنّ تقديم الأهمِّ أولى؛ فلو قال: (يوم لا يغني كيدُهم) كان السّامعُ لهذا الكلام ربما يقول: لا يغني كيدُهم غيرَهم، فيرجو الخيرَ في حقّهم، وإذا سمع: ﴿لَا يُغْنِي عَنْهُمْ﴾ انقطع رجاؤه وانتظر الأمر الذي ليس بمُغنٍ[2].

دلالة التّعبير بالكيد دون الفعل:

قياسٌ بالطّريق الأَوْلى

جاء التّعبير القرآنيّ بلفظ الكيد في قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ﴾، ولم يقل: (يوم لا يغنى عنهم أفعالهم)، مع أنّ الكيد هو فعلٌ يسوء مَن نزل به، وإن حَسُن ممّن صدر منه، وجوابُ ذلك: أنّه قياسٌ بالطّريق الأَوْلى؛ لأنّهم كانوا يأتون بفعل للنّبيّ ﷺ والمؤمنين،

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 522.
(2) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 522.

وكانوا يعتقدون أنّه أحسنُ أعمالهم؛ فقال: (ما أغنى أحسنُ أعمالِهم الذي كانوا يعتقدون فيه)؛ ليقطعَ رجاءَهم عمّا دونه. وفيه وجه آخر؛ وهو أنّه تعالى لمّا قال مِن قبلُ: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا﴾، وأكثرُ المُفسّرين على أنّ المُراد به تدبيرُهم في قتل النّبيّ ﷺ، ثمّ قال: ﴿هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ﴾؛ أي: لا ينفعهم كيدُهم في الدّنيا؛ فماذا يفعلون يوم لا ينفعهم ذلك الكيدُ بل يَضُرُّهم[1].

دلالة إضافة الكيد إلى ضمير الغائب:

كيدهم المُعتاد لا ينفعهم شيئًا يومَ حلولِ العذاب

أضاف النّظمُ الجليل الكيدَ إلى ضمير الغائب في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، وهي من إضافة المصدر إلى فاعله[2]، والمُراد به ما كانوا يُدبِّرونه من مَكرٍ وخِداعٍ في الدّنيا ضِدَّ النّبيّ ﷺ[3]. أي: الكيدُ الذي صدر عنهم، لا الذي وُجِّه إليهم. فالإضافةُ تُسَجِّل الكيدَ عليهم أنفسِهم، فالكيدُ الذي كان سلاحَهم المعتاد لم يُغْنِ عنهم شيئًا في ذلك اليوم – وفي هذا تحقيرٌ لكيدهم.

نُكْتَة تنكير ﴿شَيْـًٔا﴾:

تهويل العذاب في ذلك اليوم

عبّر النّظمُ الجليل عن لفظ الشّيء بالتّنكير في قوله جلّ شأنه: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا﴾؛ للدّلالة على العموم، أي: لا يُغني عنهم أيُّ شيء من الإغناء، فلا يدفع عنهم موتًا ولا ذُلًّا ولا عذابًا[4]، فالتّنكير هنا يفيد تهويلَ العذابِ في ذلك اليوم، وكذلك تحقيرَ كيدِهم؛ لبيانِ شِدّة العَجزِ والخِذْلان.

دلالة الواو في قوله: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾:

استيفاءٌ لوجوه الهلاك وانقطاعِ وسائل النّجاة

عطف النّظمُ الجليل في قوله جلّ شأنه: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 14/ 522.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 81.
(3) الدّرّة، تفسير القرآن الكريم وإعرابه وبيانه: 9/ 306.
(4) الآلوسيّ، روح المعاني: 14/ 39.

على الجملة في قوله تعالى: ﴿لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا﴾ بالواو العاطفة[1]، وفائدةُ العطفِ: بيانُ انتفاءِ وسائل النّجاة على العموم، فلا نجاةَ بوسائلَ مِن فعلهم، ولا بوسائلَ من غيرهم، فانتفى نوعا الوسائلِ المُنجية[2].

نُكْتَةُ إعادةِ حرفِ النّفي (لا):

الـدّلالـة على استـقـلال كـلّ جملة منهما في النّفي

أعاد النّظمُ الجليل حرفَ النّفي (لا) في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾، فلم يَكتفِ بنفيٍ واحدٍ يُعطف عليه؛ وذلك للتّأكيد والتّقوية، وللإشارة إلى أنّ كلّ واحدة من الجملتين مستقلّة في النّفي، فيكون كلُّ معنًى من المعنَيين منفيًّا بنفي خاصّ به، وهذا أبلغ في انقطاع الأمل عنهم.

سرّ تقديمِ قوله: ﴿وَلَا هُمْ﴾، على قوله: ﴿يُنصَرُونَ﴾:

خُـذْلانٌ خِـذْلانٌ مُعجَّل لا مُؤجَّل

قدّم النّظمُ الجليل النّفيَ على المسنَد إليه ﴿هُمْ﴾، والمسندِ الفعليّ ﴿يُنصَرُونَ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؛ وذلك لأجل القَصْر والتّوكيد، أي: لا يُنصرون هم بالذّات دونَ غيرهم. فالخِذلان متحقّقٌ في حَقّهم دونَ غيرهم، فهم أخصّ النّاسِ في انتفاء النّصرة. كما أنّه يُشير إلى تعجيل الخِذلان وانقطاعِ الأمل.

نُكْتَةُ التّعبير بالنّصر مادّةً وصيغةً:

لا نـاصـرَ يمنع عـذابَ الله عن الكافرين

عبّر النّظمُ الجليل بنفي النّصرة في قوله: ﴿يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ﴾؛ للدّلالة على نفي النّصرة والشّفاعة؛ لأنّ دفعَ العذابِ يكون بشفاعة شفيع أو بنصر ناصر؛ لذلك جاء التّعبير بنفي النّصرة. وللدّلالة على انتفاء مَن يمنع عنهم العذابَ، ويحولُ بينهم وبينه[3]. وجاء التّعبير بالبناء للمفعول للدّلالة على

(1) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 9/ 341.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 27/ 82.
(3) البيضاويّ، أنوار التّنزيل: 5/ 156.

شمول نفي النّصر عنهم من أيّ جهة كانت، ومن أيّ فاعل كان[1]، فليس ثَمَّ أحدٌ على الإطلاق يمنعهم من عذاب الله تعالى. وجاء التّعبير بالفعل المضارع للدّلالة على تجدّد انتفاء النّصرة والنّصير[2].

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الوَذْرُ والتَّرْكُ:

(ذرهـم) أخـصُّ من (اتركْهُم)

(ترك) أصل يدلّ على التّخلية عن الشّيء، والتَّرْكُ: ودْعُك الشَّيْءَ[3]. فهو ترك ومفارقة.

أمّا وذَرَ: فأصلُه منَ الوَذَرَةُ، وهي قطعة من اللّحم، وتسميتُها بذلك لقلّة الاعتداد بها، وفلانٌ يَذَرُ الشّيءَ. أي: يَقْذِفُهُ لقِلّة اعتداده به[4]، قال تعالى: ﴿وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا﴾ [الأنعام: 70]، أي: "أعرض عنهم، ولا تبالِ بتكذيبهم واستهزائهم"[5]. وفي الآية عبّر بالفعل (ذرهم) للدّلالة على أنّ الله تعالى أرشد النّبيَّ ﷺ أن لا يبالي بهم؛ لأنّهم لا يُعتدُّ بهم تحقيرًا لهم.

الرَّكْمُ والجَمعُ:

الـجـمـع عـامٌّ، والـرَّكْـمُ جمعٌ بإلقاء شيء فوقَ شيء

الجَمع: ضَمّ الشّيء بتقريب بعضِه من بعض، يقال: جَمَعْتُهُ فاجْتَمَعَ[6]، فهو جمع عامٌّ مُطلَق.

أمّا الرَّكم: فهو أخصّ من الجمع، فيدلّ على جمع بكيفيّة ما، فهو إلقاء الشّيءِ بعضِه على بعض[7]. قال تعالى: ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ رُكَامًا﴾ [النّور: 43]، وهو جَمعُكَ شَيْئًا فَوْقَ شَيْءٍ حَتَّى تَجْعلَه رُكامًا كالرَّملِ والسَّحابِ

(1) الهرريّ، حدائق الرّوح والرّيحان: 28/ 91.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 19/ 35.
(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، وابن منظور، لسان العرب: (ترك).
(4) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (وذر).
(5) الزّمخشريّ، الكشّاف: 2/ 36.
(6) الرّاغب، المفردات: (جمع).
(7) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (ركم).

ونَحْوِ ذَلِكَ[1]، فالرَّكم جمعٌ بتراكمٍ فوقيّ، وفي الآية عبّر بالرّكم لأنّ السّحاب يُجمع على هذا النّحو.

الغمام والسّحاب:

الغمام من (غمّ، أو غمم)، وأصْله يَدُلُّ عَلَى تَغْطِيَةٍ، والغَمُّ: سَترُ الشّيء، ومنه: الغَمامُ لكونه ساترًا لضَوء الشّمس[2].

الغمام يستر ضوءَ الشّمسِ، والسّحاب تسحبُه الرّياح

أمّا السّحاب فهو من الجذر (سَحَبَ)، وأصلُه يدلّ على جَرِّ شَيْءٍ مَبْسوطٍ ومَدّه. تَقولُ: سَحَبْتُ ذَيْلي بالأرْضِ سَحْبًا. وسُمّي السَّحابُ سَحابًا إمّا لجَرِّ الرّيح له، أو لجَرِّه الماء، أو لانجراره في مَمَرِّه[3]. فيُلاحظ في الغيم السّترُ، وفي السّحاب الحركةُ وانسحابُه بالهواء، ولا شكّ أنّ الكَشْف فيه حركة وسقوط، فكان الأنسبُ له التّعبيرَ بالسّحاب.

(1) الخليل، العين، وابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (ركم).

(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات، وابن منظور، لسان العرب: (غم، غمم).

(3) ابن فارس، مقاييس اللّغة، والرّاغب، المفردات: (سحب).

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والخمسون،
سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1447هـ - 2026م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2026م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2026.
مج. 58 ، 800 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-647-62-1
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 58 : المجلد الثامن والخمسون، سورة الطُّور من الآية 25 إلى سورة الرَّحمن الآية 30.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-647-62-1
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-4238337 بتاريخ 2026/01/07م،
الهيئة الوطنية للإعلام، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
"تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام"
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي "النجار"